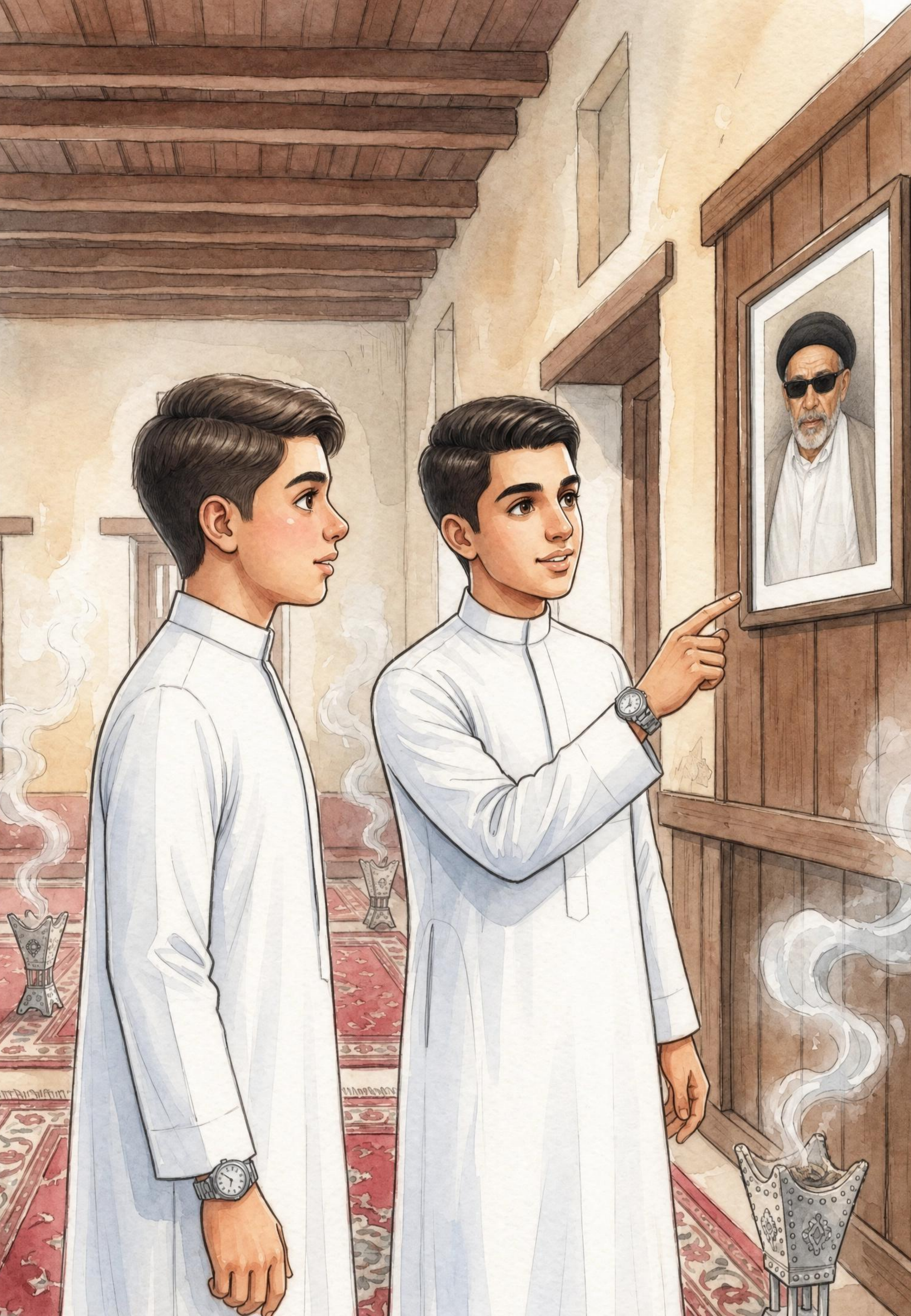


السيدجعفر بن السيدعلي العلوي الكربادي

علي حسن جعفر

في زاوية هادئة من أحد مآتم البحرين القديمة، وقف الشابان كميل وميثم أمام صورة معلقة على الجدار. كانت الصورة لخطيب حسيني، يرتدي عمامة سوداء وتنمّ ملامحه عن طيبة غائرة. سأل كميل رفيقه بصوت خفيض: «من هو هذا السيد؟ ومن أين جاءت شهرته التي ما زال يتردد صدى ألحانها في أرجاء المكان؟». في تلك اللحظة، اقترب منهما رجل مسنّ ليروي لهما حكاية صوتٍ لم ينسه الزمن.



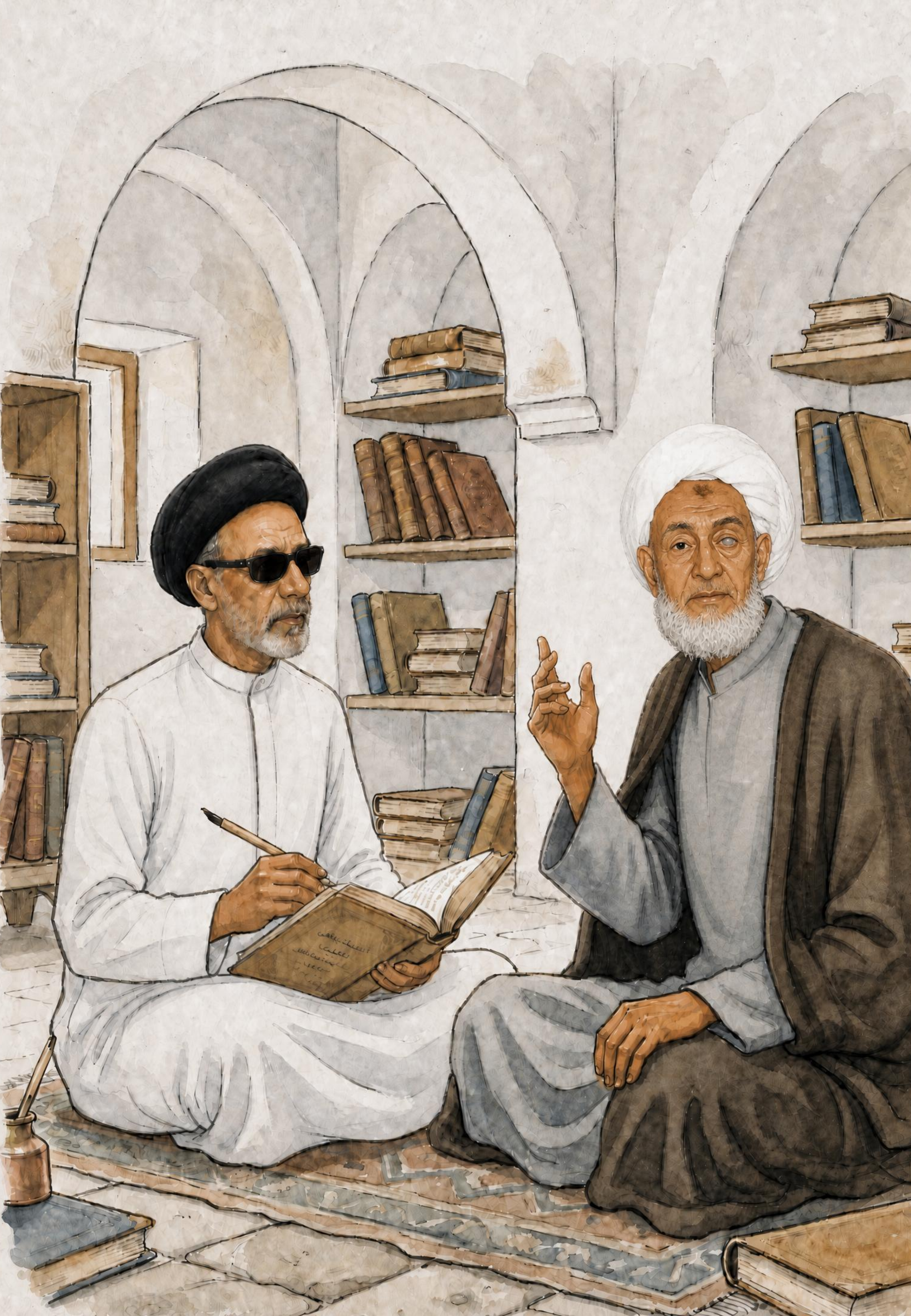
بدأت الرحلة من قرية كرباباد في عام ١٩٢٩م. هناك، بين البيوت البسيطة المصنوعة من السعف والطين، ولد الطفل سيدجعفر في أحضان أسرة وجيهة. كان والده السيد علي العلوي، مختار القرية ورجلها المهاب، يحيط ابنه بعناية فائقة. كان الوالد يرى في عيني طفله بريقًا ينبئ بمستقبل ملؤه الخدمة والعلم، فحرص على أن يزرع فيه بذور التقوى منذ نعومة أظفاره.



لم تمر سنوات قليلة حتى بدأ الطفل سيدجعفر ينهل من كتاب الله. كان يجلس بجوار والده في جلسات هادئة، يتبع بأصبعه الصغير كلمات المصحف الشريف. بصبر وأناة، لقنه والده فنون التجويد ومخارج الحروف، حتى حفظ القرآن الكريم وأتقن تلاوته. كان صوته الشجي يملأ زوايا البيت بالسكينة، معلناً عن ولادة موهبة صوتية فريدة صقلها كلام الله.



عندما اشتد عوده، لم يكتفِ السيد جعفر بما تعلمه في قريته، بل انتقل إلى مدرسة الشيخ عبدالحسن بن سلمان آل طفل في منطقة جدحفص. هناك، درس علوم اللغة العربية والدروس الدينية. كان معلمه الشيخ عبدالحسن يرقب بذكاء هذا الشاب النجيب وهو يناقش المسائل بدقة، محاطاً بزملائه الذين شاركوه شغف المعرفة.



بدأت ملامح الطريق تتضح للسيد جعفر، فاختار المنبر الحسيني ليكون رسالته. بدأ خطواته الأولى تحت إشراف أساتذة كبار مثل الملا حسن أبوالعيش الديهي. كان السيد يراقب أسلوب أستاذه في الإلقاء وكيفية تحريك القلوب. تدرب طويلاً، متنقلاً من الاستماع إلى المحاكاة ثم الابتكار، حتى بدأ يعتلي المنبر بثقة، حاملاً معه إرثاً من العلم وصوتاً شجياً بدأ يجذب الأسماع.



لم يحصر السيد جعفر صوته في قرية واحدة، بل صار كالنسمة التي تطوف قرى البحرين. فصار ينتقل من قرية إلى أخرى ،ومن مجلس إلى آخر. كان ضيفاً عزيزاً ينتظر الناس قدومه بشوق. كان المنبر يرتج تحت وطأة أدائه القوي، والقلوب تخفق مع نبرات صوته التي لا تشبه أحداً.



اتسعت آفاق رحلته خارج حدود البحرين، فحمل صوته إلى دول الخليج المجاورة، ووصل صيته إلى العراق وإيران عند زياراته لمراقد الأئمة. في كل أرض وطأتها قدماه، كان يترك بصمة بحرانية أصيلة. كان الناس في تلك البلاد ينصتون بإعجاب لهذا الخطيب الذي يجمع بين العلم الرصين والأداء المؤثر، ثم يعود دائماً إلى وطنه البحرين ليواصل عطاءه.



تميز السيد جعفر بقدرة فريدة على اختيار القصائد التراثية، فكان يحيي بآهاته شعر الملا عطية الجمري والملا علي بن فايز. لم يكن مجرد قارئ، بل كان مبدعًا يبتكر في الألحان واللحظات الحزينة بجرأة لم يعهدها المنبر من قبل. كان ينسج من الكلمات صوراً حية، مستخدماً طبقات صوته العميقة التي أصبحت علامة تميزه، حتى بدأ زملاؤه الخطباء يتأثرون بأسلوبه الفريد.



في ليلة شتوية، جلس السيد جعفر مع ابن خاله الشيخ ميرزا حسين الأسود حول الدَّوّة؛ التي يتصاعد منها دفء الجمر. وسط هدوء الليل، بدأ السيد جعفر يردد أبياتًا بلحن مبتكر وهادئ. توقف الشيخ ميرزا عن الحديث وسأله بدهشة: "ما هذا الطور الجميل يا سيد؟". أجابه السيدجعفر بتواضع: "هكذا وجدته في نفسي". ومنذ تلك الليلة، ولد طور السيد جعفر الكربابادي ليصبح أشهر الأطوار في البحرين.



لم يبخل السيد جعفر بعلمه على أحد، فصار مدرسة يتخرج منها الخطباء. كان ابنه السيد أحمد يجلس أمامه دائماً، يتشرب منه أصول الخطابة وقواعد المنبر. لم يكن السيد يعلمه الكلام فقط، بل كان يورثه أمانة الصوت وصدق الكلمة. رأى الجميع في ابنه امتداداً لذلك العطاء، وكيف تحول بيت الكربادي إلى منبع يفيض بالخطباء الذين يحملون شعلة الأب الراحل.



مرت السنوات والسيد جعفر ثابت كالنخلة في أرضه، يخدم المنبر الحسيني بكل جوارحه. ورغم تعاقب الأجيال، بقي صوته هو المرجع الذي يعود إليه الجميع. لقد لخصت مسيرته قصة كفاح بدأت من حفظ القرآن في الطفولة، إلى الدراسة في جدحفص، ثم رحلاته التي جابت الآفاق. صار اسمه مرادفًا للتميز، وأطواره أيقونة تتردد في كل مأتم ومجلس، محفورة في ذاكرة البحرين الشعبية.



في التاسع من يونيو ٢٠٠٩م، ساد الحزن البحرين برحيل هذا الصوت الشجي. دُفن في مقبرة حلة العبد الصالح، لكن أثره لم يدفن معه. عاد الراوي المسنّ بحديثه إلى كميل وميثم في المأتم، قائلاً: "سيرة هؤلاء الرجال ليست مجرد تاريخ، بل هي رحلة تعلم وإتقان". نظر الشابان إلى الصورة مرة أخرى، ولم تعد مجرد صورة، بل أصبحت حكاية إنسان عاش ليترك خلفه صوتًا لا يزال يصدح بالهدى والإيمان.



الاسم: السيدجعفر بن السيدعلي بن السيد أحمد العلوي الكربابادي

نسبة ل"كرباباد" وهي من قرى البحرين.

الميلاد: ١٩٢٩ م

مكان الولادة: كرباباد

مدة خدمته الحسينية: ٥٠ سنة

الوفاة: ٩/ ٦/ ٢٠٠٩م

مكان الدفن: مقبرة حلة العبد الصالح.



النهاية

السيدجعفر بن السيدعلي العلوي الكربابادي

علي حسن جعفر

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م